
دنيا الأطفال
38
الدودة والفراشة
بقلم: أ. عبد الحميد عبد المقصود
بريشة: أ. عبد الشافي سيد
إشراف: أ. حمدي مصطفى
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



ذاتَ يَوْمٍ فى مَطْلَعِ الرَّبيعِ ، كانتْ سيِّدَةٌ عجوزٌ تتنزَّهُ فى الْغَابةِ ، وَتَتَسلَّى بِجَمْعِ الثِّمَارِ الْحُلْوَةِ الْمُتَساقِطَةِ مِنَ الأشْجارِ ..

وبعْدَ أنْ سارتِ الْعَجُوزُ طويلاً جلَستْ لِتَستريحَ فى ظِلِّ شَجرةِ تُوتٍ ..

نظرتِ الْعَجُوزُ حوْلَها ، فرأتْ كُلَّ شَىْءٍ فى الْغابَةِ ينْبِضُ بالْحركَةِ والْحياةِ ، فالزُّهورُ الْجميلةُ الْمُتَفتِّحةُ تتمايلُ معَ النَّسيمِ ، ناشِرةً عِطْرَها وأَرِيجَها فى أرْجاءِ الْغَابةِ ..

والطُّيورُ زاهِيةُ الألْوان تَنْتَقِلُ مِنْ غُصْنٍ إلى غُصْنٍ مُغَرِّدَةً في زَهْوٍ بأصْواتٍ جَميلةٍ تُعَبِّرُ عَنْ حُبِّها لِلْحياةِ، والْفراشاتُ الْبَديعَةُ الألْوانِ تَنْشُرُ أجْنِحَتَها، وتَنْتَقِلُ مِنْ زَهْرَةٍ إلى زَهْرَةٍ، فَتَمْتَصُّ رَحيقَها، وتَنْقُلُ حُبوبَ اللِّقاحِ مِنَ الأَزْهارِ الْمُذَكَّرَةِ إلى الأَزْهارِ الْمُؤَنَّثَةِ ..

وهكذا كانتِ الْغابَةُ تَنْبِضُ بِالْحَرَكَةِ والْحَياةِ في ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ أيامِ الرَّبيعِ ..

ولَمَّا رأتِ الْعَجوزُ ذلِكَ تنهّدَتْ قائِلَةً:

- ألا لَيْتَ الزَّمانَ يَعودُ إلى الْوَراءِ، إلى عَهْدِ الطُّفولَةِ والشَّبابِ .. لَيْتَ شَبابِيَ الذَّاهِبَ يَعودُ ..



وعادَتِ الْعَجوزُ بِذاكِرَتِها إلى الْوَراءِ قائِلةً :

- وقْتَها لمْ أكُنْ أجْملَ فتاةٍ في الدُّنْيا ، بلْ لمْ أكُنْ جَميلةً جدًا ، لكنَّ الدُّنْيا كانَتْ في عَيْنَيَّ رائِعةً مثْلَ هذهِ السَّماءِ الصَّافيةِ ، وكانَتِ الْحياةُ جَميلةً مثْلَ هذهِ الزُّهورِ الْمُتفتِّحةِ ، وتلْكَ الْفراشاتِ الزَّاهِيَةِ .. وقْتَها كانَ كُلُّ شيءٍ مُغرِّدًا مثْلَ زَقْزَقةِ الْعَصافيرِ ، وتَغْريدِ الطُّيورِ ..



وسَكَتَتِ الْعَجوزُ قَليلاً ، ثُمَّ تَنَهَّدَتْ قائِلَةً :

ـ أمّا الآنَ فَلَمْ أعُدْ أُحِسُّ طَعْمَ الْحَياةِ .. لَقَدْ فارَقَنِى الأهْلُ ، وذَهَبَ الأصْحابُ والْخِلاّنُ .. لَقَدْ بَقِيتُ وَحيدَةً لأَعيشَ أرْذَلَ الْعُمُرِ فى هذهِ الْحَياةِ ، خائِفَةً مِنَ الْغَدِ ، وما تأْتى بهِ الأيّامُ .. هكذا أنا الآنَ ...



وكانَتْ شَجَرةُ التُّوتِ تُنْصِتُ إلى حَديثِ السَّيِّدةِ الْعَجوزِ ، فتأثَّرَتْ منْ كَلامِها ، وردَّتْ عليْها قائِلَةً في تعَجُّبٍ :

- أيَّتُها الْعَجُوزُ الطَّيِّبةُ الطَّاعِنَةُ في السِّنِّ ، هلْ تتَحدَّثينَ مع نَفْسِكِ ؟!

فنَظرتْ إليْها الْعَجوزُ قائلَةً :

- وأنْتِ معَ منْ تتَحدَّثينَ يا شَجرةَ التُّوتِ ؟!



فقالتْ شجرةُ التُّوتِ :

ـ أنَا أتَحدَّثُ إليكِ أنْتِ .. ومِنَ الأفْضَلِ أنْ تُنْصِتِي إلى حَديثِي ، فرُبَّمَا تعلَّمْتِ منْهُ شيْئًا ..

فضحِكَتِ العَجوزُ ، وقالتْ مُسْتَنْكِرةً :

وماذَا أتعلَّمُ وأنَا في هذِهِ السِّنِّ ؟! هيِيه .. لَمْ يَبْقَ إلا حُسْنُ الخِتَامِ ..



فقالَتِ الشَّجرةُ :

- تقُولِينَ هذا لأنَّكِ يائسةٌ منَ الْحياةِ ، وتعيشِينَ فى فَرَاغٍ دائمٍ ، فلا تَجدِينَ ما تَفْعلينَهُ ..

فقالتِ الْعَجوزُ :

- وماذا أَفْعلُ فى هذهِ السِّنِّ ؟! لقَدْ ربَّيْتُ أَوْلادِى وعلَّمْتُهُمْ ، والآنَ صارَ لِى أَحْفادٌ كثيرونَ ..



فقالَتِ الشجَرةُ :

ـ هلْ شاهَدْتِ مِن قَبْلُ دُودةَ قزٍّ ؟!

فقالتِ العَجُوزُ :

ـ كثيرًا ما شاهَدْتُها على شَجَرِ التُّوتِ مِنْ أمثالِكِ ، وهي تَزْحَفُ مُلْتَوِيَةً ، لِتأكُلَ الأوْراقَ الغَضّةَ ..

فقالَتِ الشَّجرةُ :

ـ طالما أنَّكِ تعْرِفينَ الدُّودَ ، فسَوْفَ أُعْطِيكِ اثْنَتَيْنِ ، حتّى تَشْغَلي وقْتَ فَراغِكِ بتَرْبِيَتِهِمَا ..



فقالتِ الْعَجوزُ فَزِعَةً :

ـ وهلْ ما زالَ في الْعُمْرِ بقيّةٌ ، حتّى أشْغَلَها بتَرْبيةِ دُودِ الْحَرِيرِ ؟!

فقالتِ الشجرةُ :

ـ حاولي ، ولنْ تخْسَري شَيْئًا ..

فقالتِ العجوزُ مستَسْلِمةً :

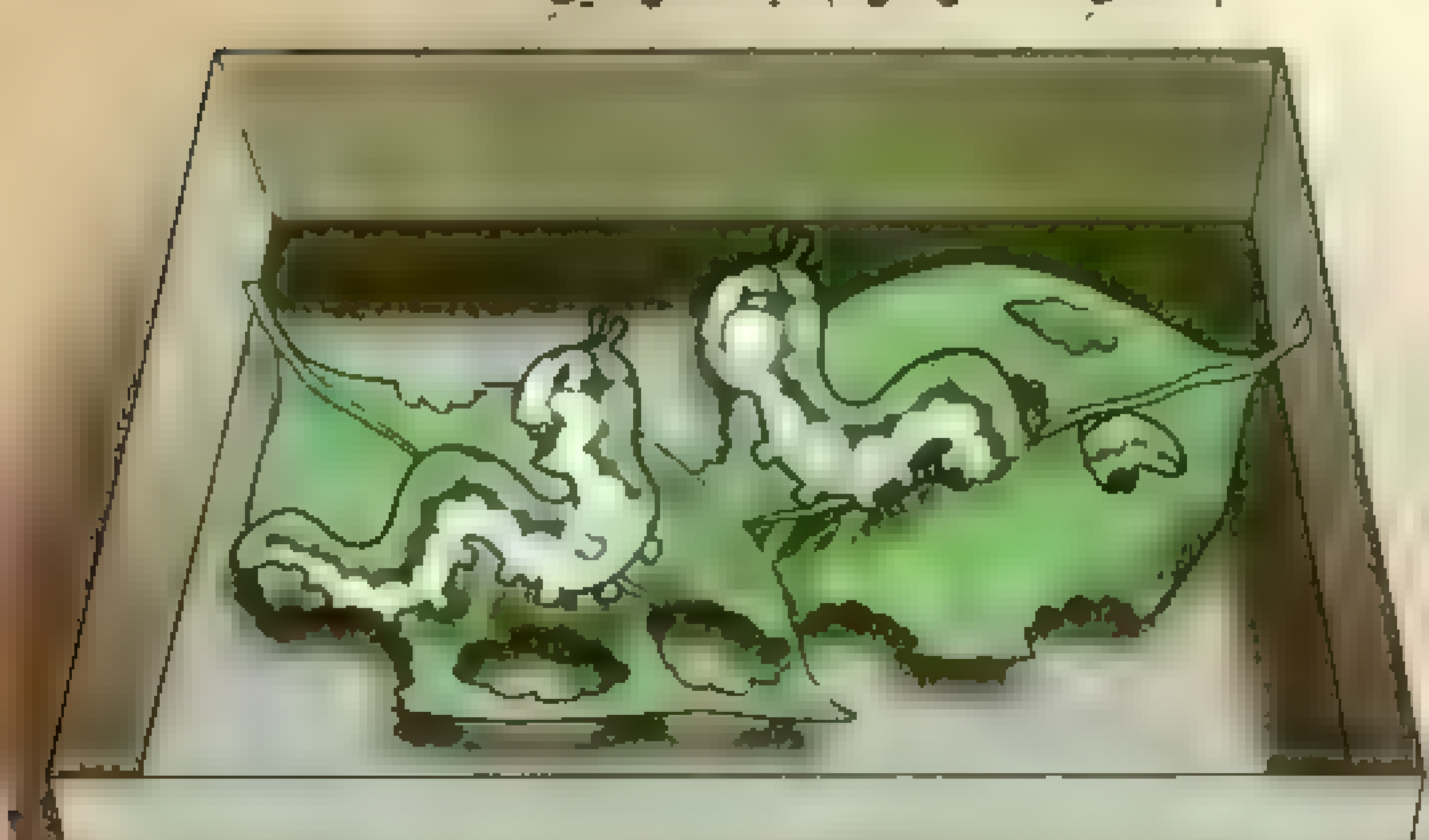
ـ الأَمْرُ للهِ ، ولكنْ علِّميني كيْفَ أُربِّيهما ..

فقالتِ الشجرةُ :

ـ الأمرُ أبسطُ كثيرًا ممّا تتصوّرين .. تُحْضِرين عُلْبةً فارغةً ، وتضعين فيها الدُّودتين ، وكلَّ يومٍ تأخذين منّي بعضَ أوراقِ التُّوت ، لتُطْعِميهما .. وسوفَ تجدين في ذلك تسليةً لك ..

وفعلتِ العجوزُ ما أمرتها به الشّجرةُ ، فظلّتْ تُحْضِرُ أوْراقَ التُّوت الغضّة وتضعُها في العُلْبة باستمرارٍ ، وكانتْ سعيدةً وهي ترى الدُّودتيْن تنْموانِ بسُرْعةٍ ..

وذات يوْمٍ حدثتْ مُفاجأةٌ أذْهلت العجُوز ، فعنْدما فتحت العُلْبة وجدتْ ورق التُّوت الذي وضعتْهُ بالأمسِ كما هُو ، ولمْ تجد الدُّودتيْنِ ..



تعجَّبَتِ الْعجوزُ ، وتملَّكَها الذُّهولُ ، وراحتْ تتساءلُ:
- أين ذهبتِ الدُّودتانِ ، والْعُلْبةُ كانتْ مُحْكَمةَ الْغَلْقِ ؟!
وفتَّشتِ الْعجوزُ الْعُلْبةَ جيِّدًا ، فوجدتْ كُرَتَيْنِ صغيرتَيْنِ ناعِمتَي الْمَلْمس ، ولونُهُما فاتحٌ جدًا .
فحملتِ الْعُلْبةَ وأسْرعتْ إلى الشَّجرةِ ، فقصَّتْ عليْها ما حدثَ .

فضحِكتْ شجرةُ التُّوتِ ، وقالَتْ :
- لا تخافي .. لمْ تهْربِ الدُّودتانِ ..
لقدْ صنعتْ كُلٌّ منْهما حوْلها شرْنقةً ، وتقوقعتْ بداخلِها .





فَتَعَجَّبَتِ الْعَجُوزُ ، وَقَالَتْ :

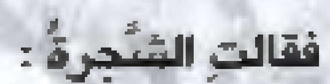
- وما مَعْنَى شَرْنَقَة ؟!

فَقَالَتِ الشَّجَرَةُ :

- الشَّرْنَقَةُ هي خُيُوطٌ دَقِيقَةٌ مِنَ الْحَرِيرِ ، تَلْفِظُهَا الدُّودَةُ مِنْ فَمِهَا ، وتُحِيطُ بِهَا جِسْمَهَا ، ثُمَّ تَبْقَى بِدَاخِلِهَا فَتْرَةً مِنَ الْوَقْتِ .

فَقَالَتِ الْعَجُوزُ :

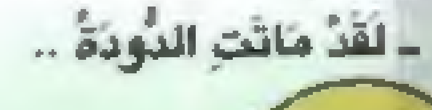
- ولماذا تَفْعَلُ الدُّودَةُ ذلك ؟!



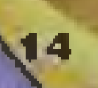
فقالتِ الشَّجرةُ :

ـ بعْدَ أسابيعَ قليلةٍ سوفَ تعْرفينَ السِّرَّ ، ولكنْ لى رَجاءُ .. اتْركِى إحْدَى الشَّرْنَقَتَيْنِ كما هىَ ، وافْتحِى الأُخْرى ..

وحاولَتِ الْعجُوزُ فَتْحَ إِحْدَى الشَّرْنَقَتَيْنِ ، فوجَدَتْها قويةً ومَتينةً جدًا ، لكنها بعْد مُحاولاتٍ تمكَّنَتْ مِنْ فَتْحِها ، ولكنَّ الْعَجوزَ لمْ تَجِدْ داخلَ الشَّرْنَقةِ سوى قطْعةٍ جِلْديَّةٍ صَغيرةٍ لا تُشْبِهُ الدُّودةَ فى شَىْءٍ ، ولِذَلكَ حملَتْها ، وتَوجَّهتْ إلى الشَّجَرةِ ، فقالَتْ لها :



ـ لَقدْ ماتَتِ الدُّودةُ ..





فقالَت لهَا الشَّجرةُ :

ـ صَبْرًا .. صَبْرًا .. الْمُهِمُ أنْ تَتْركى الشَرْنقَة الثَّانيةَ ، ويَوْمًا مَا سَوْفَ أُخْبرك بما تفْعلينَ ..

فَنَفَّذَتِ الْعَجُوزُ كلامَ الشَّجَرةِ ، وفى الْيَوْمِ الْمُتَّفَقِ علَيْهِ ، فتَحَتِ الْعَجُوزُ الْعُلْبَةَ بِحَذَرٍ ، فوجَدَتِ الشَرْنَقَة تَنْفَتِحُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِها وتَخْرُجُ مِنْها فَراشَةٌ جَمِيلَةٌ زاهِيةُ الألْوانِ ، ثمَّ طارَتْ بَعيدًا ..



فقالَتِ الشَّجَرَةُ :

ـ لعلَّكِ الآنَ تكُونِينَ قَدْ تعلَّمْتِ أنَّ الْحَيَاةَ على الأَرْضِ ليْستْ هِيَ النِّهايَةَ ..

فقالَتِ الْعَجُوزُ مُتَعَجِّبَةً :

ـ مَنْ كانَ يُصَدِّقُ أنَّ الدُّودَةَ التي تزْحَفُ على الأَرْضِ ، يُمْكِنُ أنْ تتحوَّلَ إلى فَرَاشَةٍ ، وتَطِيرُ بِجَنَاحَيْها في الْهَوَاءِ ؟!

حقًا سُبْحانَ الْخَلَّاقِ الْعَظِيمِ ، مُبْدِعِ كُلِّ شَيْءٍ بِعِلْمٍ وحِكْمَةٍ ..

تَمَّتْ

رقم الإيداع : ١٩٩٢

الترقيم الدولي : ٩٧٧ ـ ٢٦٦ ـ ٥٨٧ ـ ٥